عديدة . من قضية فلسطين الى قضايا عربية « التطورات السياسية والاجتماعية » . بالرغم من ان درويش استطاع في الفترة الاخيرة الناضجة من مراحل تطوره ان يفطن بشكل اوضح واعمق الى مهمة الشعر، وطبيعة الثورة فيه. فالثورة طاقة مستمرة على التغيير والتحام حاد بين الموقف من الحياة والموقف من العملية الابداعية ، فهو — اي محمود درويش — لا يملك ان يرى الثوري — اذا كان شاعرا موهوبا — رجعيا داخل الشعر وثوريا خارجه . كذلك شأن الشاعر — اذا كان ثوريا حقيقيا — لا يكون ثوريا داخل الشعر ورجعيا خارجه : « وماذا نعني بالثورة داخل الشعر ؟ الموقف من التراث، والتجديد الدائم للعلاقات القائمة في القصيدة وتغيير هذه العلاقات . لا اعني بالتغيير التدمير او الابادة ، اعني التطوير. أن المحافظة على ما هو حيوي في القديم هي المحافظة على المقدمات لمتابعة الحركة . والجديد — كما نعلم — لا ينفي القديم كله . اننا نصادف موقفين خطيرين من هذه المسألة : موقف العبادة للقديم — وهو موقف متحجر ورجعي ، وموقف الكفر المطلق بالقديم — وهو موقف فوضوي »(٧).

وهذا الموقف المحايد هو الذي يشكل تيار معظم المجددين من شعراء العربية ، ولكنه موقف أعمق من مجرد هذه المحايدة ، فالشاعر خليل حاوي مثلا يرفض « الشعر الذي ينطلق من الرفض ويستقر عليه » ويرى ان الثورة ليست صفة ملازمة لكل جديد كما انها ليست حركة انفعالات سطحية عابرة ، ولا يمكن لها ان تكون جزئية فتقنع بتحوير بسيط في الشكل الشعري او في بعض المفاهيم السياسية الشائعة . ويرى ان التجارب الاصيلة هي تلك التي حاولت ان تبلغ في الثورة والرفض حد الكشف عن العناصر الحية في تراثنا وتراث الانسان(٨).

وما كان يسميه غالي شكري « الشعر المؤرخ » ، ويوسف الخطيب في مقدمته بـ « أدب الكتبة » — الذين يشغلون وظائف عادية في مختلف مشاريع الصحافة والنقد والفن ، يسميه الشاعر أدونيس « شعر التبشير » او « الشعر — الوظيفة » والذي يقابل في رايه « شعر الثورة » او « الشعر — الابداع » . ان الثوريين العرب يفهمون الشعر الثوري على انه نوع من تبشير الجمهور العربي بالثورة ، ولا يجوز لابسط ثوري ان ينسى ان تبشير هذا الجمهور لا يبدأ بالشعر ، بل يبدأ بالقراءة والكتابة . يبدأ بأن يكون هذا الفرد موجودا ككائن له الحق بالتعليم والرغيف والكلام »(٩). ولعل هذه الاشارة تعود بنا الى « معضلة » الحديث الذي لا ينتهي حول علاقة الشعر بالجمهور ، وحول « محك » مدى فاعلية هذا الشعر جماهيريا . ان موضوع « الكاتب والكتبة » او «المقاوم والمؤرخ » او « الثائر والمبشر » هو في رايي الموضوع الاساس الذي يجب ان تبنى عليه كل رؤية تقييمية للشعر العربي وعلاقته بالحركة الثورية العربية بشكلها الاشمل والاعمق ، وبانتصارات هذه الحركة وهزائمها . وبهذا لا نملك ان نقدم من « الكتبة » و« المؤرخين » و« المبشرين » الا صورة مشوهة ، وحصيلة سلبية ، لا نستطيع ببساطة ان نقول عنها انها عابرة ، فهي ذاتها فاعلة بتشويهها وسلبيتها . كم ركب شعر الطبل والزمر ، قبل حزيران وبعدها ، موجات لم تخلف منه الا ركام الاوراق المجانية ، ولم يخلف فيها الا العورات والجذام والآفات . كذلك لا نملك ان نقدم من « الكتاب » و« المقاومين » و« الثوريين المبدعين » — على قلتهم — الا الصورة المعطاءة والحصيلة الايجابية . فكم من عمل عظيم ووجه في أيامه الاولى من قبل ذوي الانفعالات الثورية ، بالصدود والتذمر حينا ، وبالرفض احيانا ، وحتى بالاتهام ، استطاع ان يثبت بقوة « ثوريته » قيما جديدة على حساب قيم قديمة بالية . وان يفعل في الساحة الشعرية العربية ، غير مبال بروح ردود الافعال ، وبطغيان المباشرة الاعمى .

كان محمود درويش شابا يخشى طغيان هذه المباشرة ، فالتفت الى نفسه ، ليتيح لموهبته اصرارها على النمو والنضج ، فكتب مجموعته « آخر الليل » ليبدأ مرحلة أراد